كلاسيكيات مُبسطة

الحرب والسلام

ليو تولستوي



رسومات
هيلين باناي

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

الغلاف الأمامي



حقوق الطبع والنشر



JARIR BOOKSTORE
مكتبة جرير
... not just a Bookstore ... ليست مجرد مكتبة

للتعرف على فروعنا

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت **www.jarir.com**

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: **jbpublications@jarirbookstore.com**

تحديد مسئولية / إخلاء مسئولية من أي ضمان

هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والناتجة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة لكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسئولية ونُخلي مسئوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لغرض معين. كما أننا لن نتحمّل أي مسئولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

الطبعة الأولى 2024

الحرب والسلام

ليو تولستوي



الشخصيات

آل بزوخوف



كونت بزوخوف

رب الأسرة



بيير بزوخوف

الابن

آل بولكونسكي



الأمير بولكونسكي

رب الأسرة



أندريه بولكونسكي

الابن



ماريا بولكونسكي

الابنة

آل كوراجين



الأمير كوراجين

رب الأسرة



هيلين كوراجين

الابنة



أناتول كوراجين

الابن

آل روستوف



الكونت روستوف

رب الأسرة



الكونتسة روستوف

الزوجة



نيكولاي روستوف

الابن



ناتاشا روستوف

الابنة



سونيا روستوف

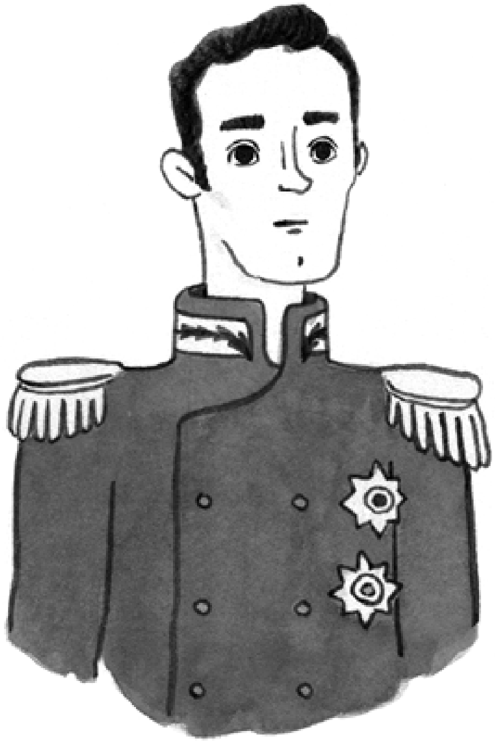
ابنة العم

الفصل الأول

وقف بيير بزوخوف في ركن بعيد في قاعة الاحتفالات الفسيحة، ومن موقعه راقب الأشخاص الأنيقين وهم يتجولون هنا وهناك يبتسمون ويثرثرون. كم تمنى أن يجيد مجاراة الناس في هذه الحوارات مثل أناتول كوراجين الجريء، أو حتى مثل صديقه العزيز أندريـــه بولكونسكي! لكن بييـــر كان يجـد صعوبة في التأقلم في مثل هذه الحفلات.



كان أندريــــــه شـــــابًا طويل القامـــــة ووسيمًا، لاسيما وهو يرتدي زي الاحتفالات العســـــكري. ورغـــــم هدوئـــه وتحفظه اللذين زادا بعد زواجه منذ بضعة أشهر مضت، كان الناس ينجذبون إليه.



وصل أناتول إلى الحفل وبصحبته والده الأمير كوراجين وشقيقته هيلين. كان أناتول وهيلين هما الأكثر وسامة وجمالًا من بين الشباب الموجودين في الحفل. كم كانا يستمتعان كثيرًا برؤية أنظار الجميع وهي متجهة إليهما. رقص أناتول عدة مرات مع عدد مختلف من النساء، بينما لم تلق هيلين بالًا لبيير الذي استجمع شجاعته وطلب منها أن ترقص معه.

شعر بيير بالارتياح عندما اقترح أندريه أن يغادرا الحفل مبكرًا وأن يذهبا إلى منزله ليثرثرا معًا بجوار المدفأة؛ فقد أنهكته مشاهدة أصدقائه الواثقين بأنفسهم وهم إما يرقصون أو يتحدثون عن نيران الحرب المستعرة بين روسيا وفرنسا.

عاد الصديقان إلى منزل أندريه الأنيق، الكائن بوسط موسكو، الذي زينته زوجته وفقًا لأحدث صيحات الموضة.

تنهد بيير وهو يسترخي في أحد المقاعد قائلًا: "أتمنى لو كان بمقدوري أن أكون مثلك، فأنت تبدو مرتاحًا لدرجة كبيرة في الحفلات".

هز أندريه رأسه نفيًا: "ربما كان هذا صحيحًا، لكن سببه عدم شعوري بالراحة في حياتي الزوجية، فأنا متزوج من امرأة لا أحبها، لذا سألقي بنفسي في جحيم

الحرب فرارًا من تلك الغلطة التي ارتكبتها. عدني بأنك لن ترتكب خطئي هذا".

أدرك بيير أن أندريه يندم على زواجه من ليز، فقد اندفعا في زواجهما رغم أن عدم التوافق بين شخصيتيهما كان جليًا. وها هو أندريه ذاهب للحرب من أجل روسيا ضد نابليون والجيش الفرنسي هربًا من هذا الزواج.

قال بيير: "أنت تعرف مشاعري تجاه الحرب يا أندريه، لا أعتقد أن الحرب هي الحل. أما بخصوص موضوع زواجي، فاطمئن سأختار زوجتي بحذر. هذا إذا قبلت أي واحدة منهن الزواج بي!".

ثم انفجر الصديقان ضحكًا.



الفصل الثاني

في الليلة التالية للحفل، دُعي بيير لتناول العشاء لدى آل روستوف. وعلى عكس الحفل الرسمي الذي أقيم الليلة الماضية، كان العشاء في منزل آل روستوف مبهجًا. اشتهر آل روستوف بحسن الضيافة والسخاء، وكثيرًا ما أقاموا حفلات الرقص وحفلات العشاء، وقد ربطت علاقة قوية بين بيير وآل روستوف منذ نعومة أظافره، وكان يشعر بالراحة في مرافقتهم.

بمجرد أن دخل بيير المنزل ووقعت عليه عينا كونت روستوف، قال وهو يعانقه: "بيير، ولدي! تعال واجلس على الطاولة".

لمح بيير مقعدًا خاليًا بجوار ناتاشا، ابنة الكونت روستوف. كان بيير وناتاشا صديقين مقربين، فرحبت به ناتاشا وقد رُسمت على وجهها ابتسامة دافئة.

قالت له: "حمدًا لله أنك أتيت، لولا وجودك لصرتُ الشابة الوحيدة وسط الحاضرين، باستثناء أخي وسونيا، اللذين لا يشعران بوجود أحد سواهما في الغرفة!".

بعد أن فرغوا من تناول العشاء، اتجه بيير، وناتاشا، وشقيقها نيكولاي، وابنة عمهما سونيا إلى الردهة ليلعبوا الورق ويتحدثوا بعيدًا عن الضيوف الأكبر سنًا.

قال نيكولاي: "بيير! الحرب من أجل روسيا هي واجب على كل شاب".

ابتسم بيير لحماس صديقه، رغم أنه يخالفه الرأي.

قالت سونيا: "يا إلهي، كم سأفتقدك بشدة عندما ترحل يا نيكولاي!".



قال نيكولاي: "أنا أيضًا سأفتقدك بشدة، لكنني الآن في العشرين من عمري، ويجب أن أثبت لنفسي أنني صرت رجلًا".

ابتسمت ناتاشا في وجه أخيها الكبير، وتذكرته عندما كان صغيرًا يلهو بألعابه المصممة على هيئة عساكر، والآن ها هو ذا أمامها وقد صار رجلًا ذاهبًا إلى الحرب.

رد بيير وهو يهز رأسه: "آه، لو كان الكلام هو السبيل لحل مشكلات العالم بدلاً من الحرب، حينها سأكون سعيدًا".

قبل أن يفتح نيكولاي فمه ليكمل النقاش، دلفت والدته إلى الردهة.

قالت الكونتسية روستوف: "لقد تأخر الوقت، ناتاشا وسونيا يجب عليكما أن تأويا إلى فراشيكما".

وبينما كان الشباب يتبادلون التحيات، تناهى إلى مسامعهم صوت طَرقات ملحة على باب المنزل. كان هناك ساعي بريد يحمل رسالة إلى بيير.

قال بيير بعد قراءة الرسالة: "إنه أبي. إنه مريض للغاية، عليَّ أن أذهب إليه".

عانقت ناتاشا بيير لتودعه، وقد رُسمت علامات القلق على وجهها الجميل، وظلت واقفة مكانها تراقب عربته وهي تبتعد حتى ابتلعها الظلام.

عاش والد بيير، الكونت بزوخوف في أكبر منزل في المدينة؛ فقد كان فاحش الثراء، وامتلك قدرًا هائلًا من الأراضي والمزارع في أنحاء موسكو.

عندما رأى بيير والده والأطباء تحيط به، علم أن رحيله قد اقترب. مكث بجانب والده، ممسكًا يده، حتى آخر لحظة في حياته.

لم تكن علاقة بيير بوالده قوية كعلاقة الأبناء بآبائهم؛ فقد أرسله الكونت بزوخوف منذ صغره إلى مدرسة راقيـــة بعيدة عن المنزل. وعلى الرغــم من ذلك فإن أصدقاء الكونت بزوخوف أخبروا بيير بأن والده كان يذكره دائمًا. لقد كان بيير هو الابن المفضل لدى الكونت؛ لهذا السبب ورث كل ثروة أبيه، وأصبح الكونت بزوخوف الجديد.



عاد بيير إلى شقته في الساعات الأولى من الصباح ليفكر في الحياة التي تنتظره. كيف سيصبح أكثر الرجال ثراءً في موسكو وهو ما زال في السابعة والعشرين من عمره فقط؟ إنه ما زال يجد صعوبة كبيرة في أن يطلب من أي فتاة أن تشاركه الرقص! كان الأمر برمته يفوق استيعاب بيير.

الفصل الثالث

أراد بيير أن يتحدث مع أندريه بشأن المستجدات التي طرأت عليه، لكن القدر لم يمهله، فقد رحل أندريه في الصباح الذي تلا الحفل إلى منزل والده في الريف.

بينما كان أندريه وزوجته ليز في العربة في طريقهما إلى منزل والده، قالت ليز، وهي تربت بيدها بطنها المستدير: "لا أريدك أن ترحل، فسألد ابننا عما قريب". على الرغم من أن بيير كان سعيدًا لأنه سيصبح أبا، لم يكن باستطاعته أن يحب زوجته كما ينبغي.

عندما التقيا لأول مرة، ظن أندريه أن روح ليز المليئة بالحماس ستضفي توازنًا على نفسه التي تميل إلى الكآبة. ومع ذلك، وبمرور الوقت، أدرك أندريه أنهما غير متناسبين، ففي حين أن ليز كانت ترغب في أن يصبحا أشهر زوجين في موسكو، مال هو إلى حياة أكثر هدوءًا. والآن، كل ما في وسعه أن يفعله هو أن يتطوع في جيش روسيا ليهرب من إحساسه بالذنب.

قال أندريه بلطف محدثًا زوجته: "سيعتني والدي وشقيقتي بك".

عندما وصلت العربة عند مدخل منزل عائلة أندريـه، رأى شقيقته الصغـــرى، ماريـــا، تخــــرج من الباب راكضـــة لتستقبلهما. كان بالد هيلز مكانًا رائعًا ومريحًا، لكن ليز لم ترغب في الإقامة هناك؛ فهذا يعني أنها ستبتعد عن أصدقائها الكثيرين في المدينة.



قالت ماريا وهي تساعد ليز برفق على دخول المنزل: "كم تسرني رؤيتكما".

صاح الأمير بولكونسكي: "ادخلوا بسرعة، سنصاب بالبرد جميعًا".

كان والد أندريه وماريا الأمير بولكونسكي، رجلًا كبير السن وحانقًا دومًا. لم يتعاف قط من وفاة زوجته، وطوال اليوم يرتدي رداء النوم وغطاء الرأس.

لحسن الحظ أن ماريا لم تشبه والدها مطلقًا، فقد كانت هادئة الطباع وحنونة وتحب عائلتها أكثر من أي شيء في العالم. كان أندريه أكبر من ماريا بسبع سنوات وقد اعتنى بها منذ وفاة والدتهما. لقد لعبا معًا في حين كان صياح والدهما يملأ المنزل. عندما وصلا إلى مرحلة البلوغ، وجد كل من أندريه وماريا في الآخر السند والصحبة الطيبة.

بعد مضي بضعة أيام في بالد هيلز، حان وقت رحيل أندريه. أخفت ماريا ألمها وقلقها اللذين شعرت بهما وهي تعانق أخاها الحبيب لتودعه. أما ليز فقد انهمرت دموعها وهي تودع زوجها؛ فلم تكن تعرف ما إذا كان سيعود مرة أخرى أم لا، كما خشيت أن تظل وحيدة هي وطفلها بعيدًا عن أصدقائها في موسكو. وأما الأمير بولكونسكي، فلقد ربت ظهر ابنه بقوة وأخبره بألا يتلكأ.



ورغم ما تظاهر به من قوة، كان يشعر من داخله بالغضب والقلق حيال ما قد يصيب ابنه. وقبل أن يركب أندريه العربة، دخل الأمير بولكونسكي المنزل.

ورغم كل هذا، سيطر على أندريه شعور واحد وهو يشاهد المنزل الذي يضم عائلته وزوجته يختفي عن أنظاره: الراحة.

الفصل الرابع

صار بيير الآن أشهر رجل في موسكو؛ فقد كان شابًّا أعزب وفاحش الثراء، لذا بدأت الدعوات لحضور حفلات الرقص والأوبرا تنهال عليه تقريبًا كل ليلة.

مع رحيل أندريه بولكونسكي، ونيكولاي روستوف، وأناتول كوراجين إلى الحرب، كان بيير يفتقد أصدقاءه، لكن رغم هذا لم يكن وحيدًا، فكان هناك العديد من الأشخاص الذين يطمحون في صداقته، ولا سيما العائلات التي رغبت في أن يتزوج بيير إحدى بناتها حتى يكون لها نصيب في ثروته.

كانت هيلين كوراجين، شقيقة أناتول، هي أجمل فتاة في موسكو. في الماضي، عندما كان بيير يصادفها في الحفلات ويحاول التحدث إليها، كانت تتهرب منه وتتحجج دائمًا بأنها رأت صديقًا يجب أن تذهب للحديث معه. ومع ذلك، فجأة، في حفلة أخرى من الحفلات الأنيقة، بدت هيلين حريصة للغاية على التحدث إلى بيير.

حتى إن الأمير كوراجين، والد هيلين، قال وهو يقدم يد ابنته لبيير: "ابنتي تبحث عن شريك للرقص".

رد بيير: "آه...هذا شرف لي".

في البداية، شعر بيير بالارتباك وعدم الثقة في نفسه، فلم يكن هناك ما يمكن أن يتحدث فيه مع هيلين، لكن لحسن الحظ أن هيلين سهلت عليه المهمة عندما ظلت تتحدث عن نفسها كثيرًا.

لم يفعل بيير شيئًا سوى أنه ظل يومئ برأسه ويبتسم، محاولًا ألا يدهس قدم شريكته في أثناء الرقص.



منذ ذلك اليوم، كان الأمير كوراجين يحرص على أن تجلس ابنته بجوار بيير في كل عشاء وكل عرض في الأوبرا وكل حفل.

ذات مرة قالت هيلين: "أتمنى ألا تَملَّ من رؤيتي مرة أخرى، فوالدي يظن أن كلاً منا مناسب للآخر".

احمر وجه بيير خجلًا، فقد كان يعلم أنه غير وسيم مثل العديد من الرجال الموجودين بالغرفة، ومع ذلك لم تكن هيلين تلتفت لأحد غيره.

رد بيير: "لا أمانع على الإطلاق. أنا أحب أن أجلس بجوارك كل ليلة في حياتي".

صاحت هيلين: "إذن لقد حسم الأمر. هيا نتزوج!".

ألجمت المفاجأة لسان بيير، إنه لم يفكر في الزواج قبل هذه اللحظة، لكن إذا كانت امرأة في جمال هيلين ترغب في الزواج منه، فلا يمكنه أن يرفض.



الفصل الخامس

والآن بعد أن تمت خطبة هيلين على بيير، كان لدى الأمير كوراجين خطة جديدة، فقد كان يرغب في أن يتزوج ابنه أناتول من فتاة على القدر ذاته من الثراء؛ لذا أرسل رسالة إلى الأمير بولكونسكي يطلب منه موافقته على أن يقابل ابنه أناتول ابنته الأميرة ماريا.

حضر الأمير كوراجين وأناتول إلى بالد هيلز ليقضيا اليوم مع عائلة بولكونسكي. ومن بعيد رأى الأمير بولكونسكي، ماريا قادمة نحوهما، فقال وهو يشير إليها: "ها هي ذي قادمة". كان الحمل قد أثقل ليز، فلم تعد قادرة على استقبال الضيوف، لذا بقيت ماريا وحدها مع والدها.

قال أناتول وهو يطبع قبلة على يد ماريا: "إنه لمن دواعي سروري مقابلتك"، فابتسمت.لم تكن ماريا معتادة أن يوليها الرجال كثيرًا من انتباههم، فالرجل الوحيد الذي كانت تراه دائمًا هو والدها الذي لم يكن يتحدث إليها إلا في أوقات الطعام فقط.

بعد أن فرغا من تناول الشاي، اقترح الأمير كوراجين أن تذهب ماريا وأناتول للتنزه في الحديقة وحدهما، إذا لم يكن لدى الأمير بولكونسكي مانع.

قال الأمير بولكونسكي بصوت مرتفع: "لا مانع لديَّ. الأميرة ماريا يمكنها أن تفعل ما يحلو لها".

خرجت ماريا بصحبة أناتول من المنزل الرائع إلى حديقة الزهور الجميلة وقالت: "أعتذر عن سلوك أبي، فهو لا يضيع وقته في المناسبات الاجتماعية".



رد أناتول: "لا شك أنه سئم من الخُطّاب الذين يترددون على المنزل لكي يطلبوا يدكِ للزواج".

قطبت ماريا حاجبيها، وقالت بصراحة: "لم يتقدم لخطبتي الكثير".

صاح أناتول: "لا يمكنني أن أصدق هذا! خاصة مع فتاة على هذا القدر من الجمال مثلك".

كانت ماريا ذكية، وفي حين أنها لم تكن قبيحة، فقد كانت تعلم أنها ليست على قدر كبير من الجمال أيضًا. كان من الواضح أن والد أناتول أوصاه بأن يغازل ماريا كلما سنحت له الفرصة.

تطلعت ماريا إلى أناتول، فلقد كان وسيمًا بحق، لكنْ ثمة شيء فيه لا يجعلها تشعر بالارتياح نحوه.

عندما عادت ماريا وأناتول إلى غرفة الجلوس، قال الأمير بولكونسكي: "حسنًا، لنتمم الأمر".

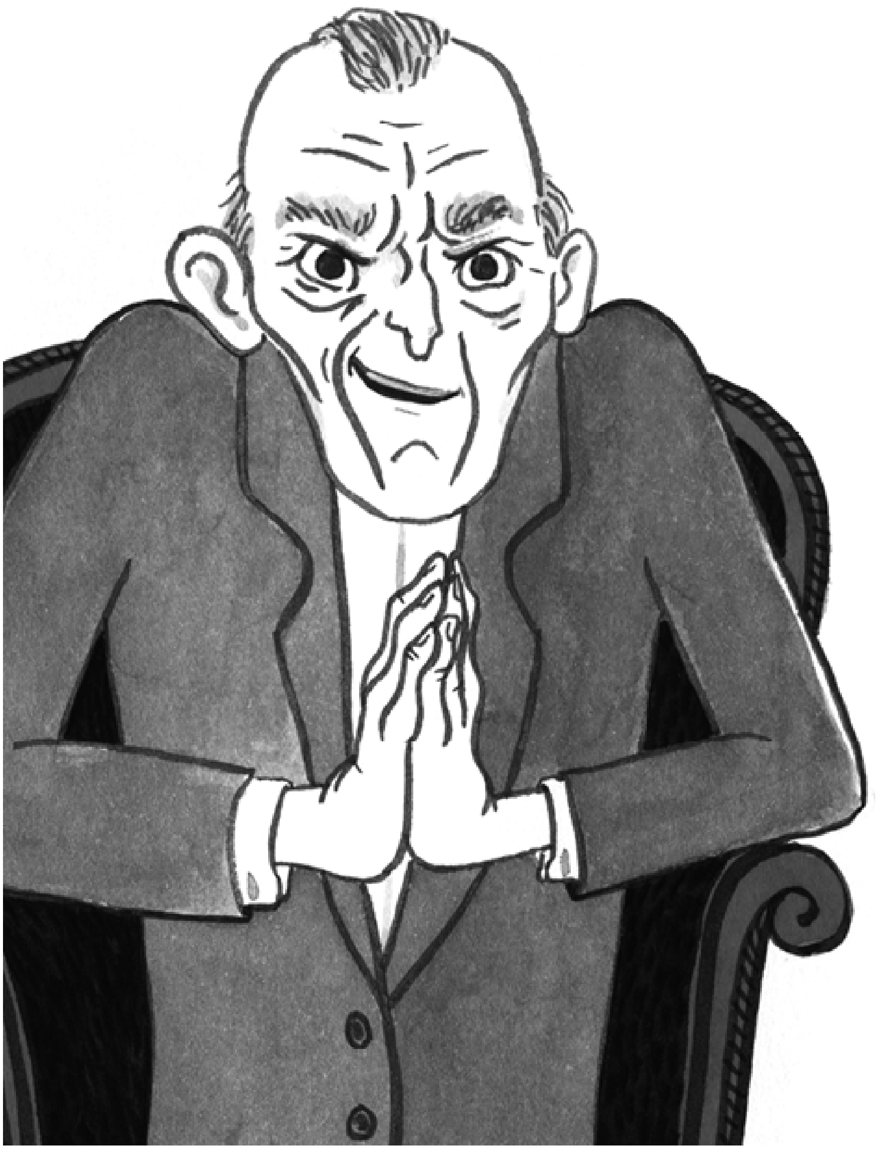
سأل الأمير كوراجين: "ماذا تعني؟".

تنهد الأمير بولكونسكي وقال: "كفاك تظاهرًا. أنت ترغب في زواج ابنك من ابنتي لأنها غنية. إذا كانت الأميرة ماريا ترغب في الزواج من ابنك، فلا مانع لديَّ".

اتجهت أعين الجميع إلى ماريا، فقد كانت فتاة رقيقة، لكنها كانت تفكر جيدًا.

قالت ماريا: "أشكرك على عرض الزواج هذا، لكن يجب من أن أرفض. أنا أحب أن أبقى هنا مع والدي وعائلة أخي".

مرت لحظة من الصمت، قبل أن يصفق الأمير بولكونسكي بكفيه الكبيرتين ويقول بابتسامة كبيرة رُسمت على وجهه الممتعض دائمًا: "قضي الأمر إذن"، ثم قاد آل كوراجين إلى الباب.



الفصل السادس

بعد مضي أسابيع، عاد نيكولاي روستوف إلى المنزل، وكان مرتاح البال رغم شعوره بالإنهاك. لقد كان القتال في الحرب أصعب بكثير مما تخيله.

قرر آل روستوف إقامة حفل عشاء كبير وفخم من حفلاتهم الشهيرة، احتفاءً بعودته.

دعت العائلة إلى الحفل أصدقاء نيكولاي من الضباط، كما دعت بيير وهيلين، حديثي الزواج.

ومن بين أصدقاء نيكولاي من الضباط، كان هناك ضابط وسيم يدعى دولوكوف. سمع بيير حكايات من نيكولاي عن سلوك دولوكوف المولع بالحفلات والمقامرة ومغازلة النساء، لذا حذر بيير زوجته لكي تبقى بعيدة عنه. ومع ذلك، بدا أن هيلين قد وجدت دولوكوف مسليًا، فقضت أغلب الليل تضحك على نكاته.

بدأ بيير يشك في صحة قرار زواجه من هيلين؛ فالحب والاهتمام اللذان أظهرتهما له، اختفيا منذ أن صارا زوجين، وبدلًا من أن تقضي هيلين وقتها مع زوجها، كانت أكثر ميلًا لقضاء وقتها في حفلات العشاء أو في الأوبرا مع أصدقائها-الذين كانوا جميعًا رجالًا حسني المظهر، وبات من الواضح أن هيلين تزوجت بيير فقط لماله ومركزه.

وعلى طاولة عشاء آل روستوف، قال دولوكوف بصوت مرتفع: "كيف أقنعت هذه السيدة الجميلة بالزواج منك؟".



أجبر بيير نفسه على الابتسام وقال: "لا أدري كيف".

لم يتوقف دولوكوف عند هذا الحد، بل استطرد بفظاظة: "انظر إليها، ثم انظر إلى نفسك". نظر بيير إلى هيلين منتظرًا أن تدافع عنه، لكن زوجته كانت تبتسم على كلام دولوكوف.

أضاف دولوكوف ضاحكًا: "حريٌّ بكِ أن تتركيه يا هيلين وتتزوجي من شخص أفضل منه. أنا غير مرتبط حاليًا".

لم ينبس بيير ببنت شفة، فلم يشأ أن يتسبب في فضيحة بمنزل آل روستوف. لمح بيير، ناتاشا، تنظر إليه بقلق. كانت ناتاشا التي تربطها ببييرعلاقة وثيقة تهتم بحق لأمره وتستمتع بصحبته. بدأ بيير يفكر في أن ناتاشا كانت هي الزوجة المناسبة له.

عندما وصل بيير إلى المنزل، سأل هيلين عن رأيها في دولوكوف.

ضحكت هيلين قائلة: "حسنًا، رأيي أنه ألطف منك بكثير!".

لم يعد بيير يدري أيهما السبب في ذلك الغضب الجم الذي سيطر عليه، هل هو زواجه من امرأة لا تحبه، أم مضايقة دولوكوف له.

في صباح اليوم التالي، خرج بيير للتجول في متنزه قريب محاولًا تهدئة أعصابه الثائرة، لكنه قابل دولوكوف يسير مع نيكولاي.

بمجرد أن رآه دولوكوف، ضحك قائلًا: "انظر، ها هو الرجل المتزوج من السيدة الجميلة".

حاول بيير أن يبتعد، خوفًا مما قد يقوله إذا تحدث، لكن دولوكوف لم يتركه وشأنه، وصاح: "أخبر هيلين بأنني جاهز متى قررت أنها ترغب في الزواج من رجل حقيقي!".

اسودت الدنيا أمام عيني بيير، وبدأت كل مشاعره حيال زواجه تتأجج داخله. استدار ولكم دولوكوف بكل ما أوتي من قوة.

صاح نيكولاي: "بيير! ماذا تفعل؟".

نظر بيير إلى دولوكوف الممدد أرضًا في ذعر، وتسلل إليه شعور بالخزي.

عاد إلى منزله، وارتمى على المقعد، وظل يحدق إلى السقف، وأخذ يسأل نفسه: "ما نفعي للعالم؟"، فهو لم يكن رجلًا عظيمًا يقاتل في جيش روسيا في الحرب مثل أندريه ونيكولاي وأناتول، بل كان مجرد رجل غني وعديم النفع.

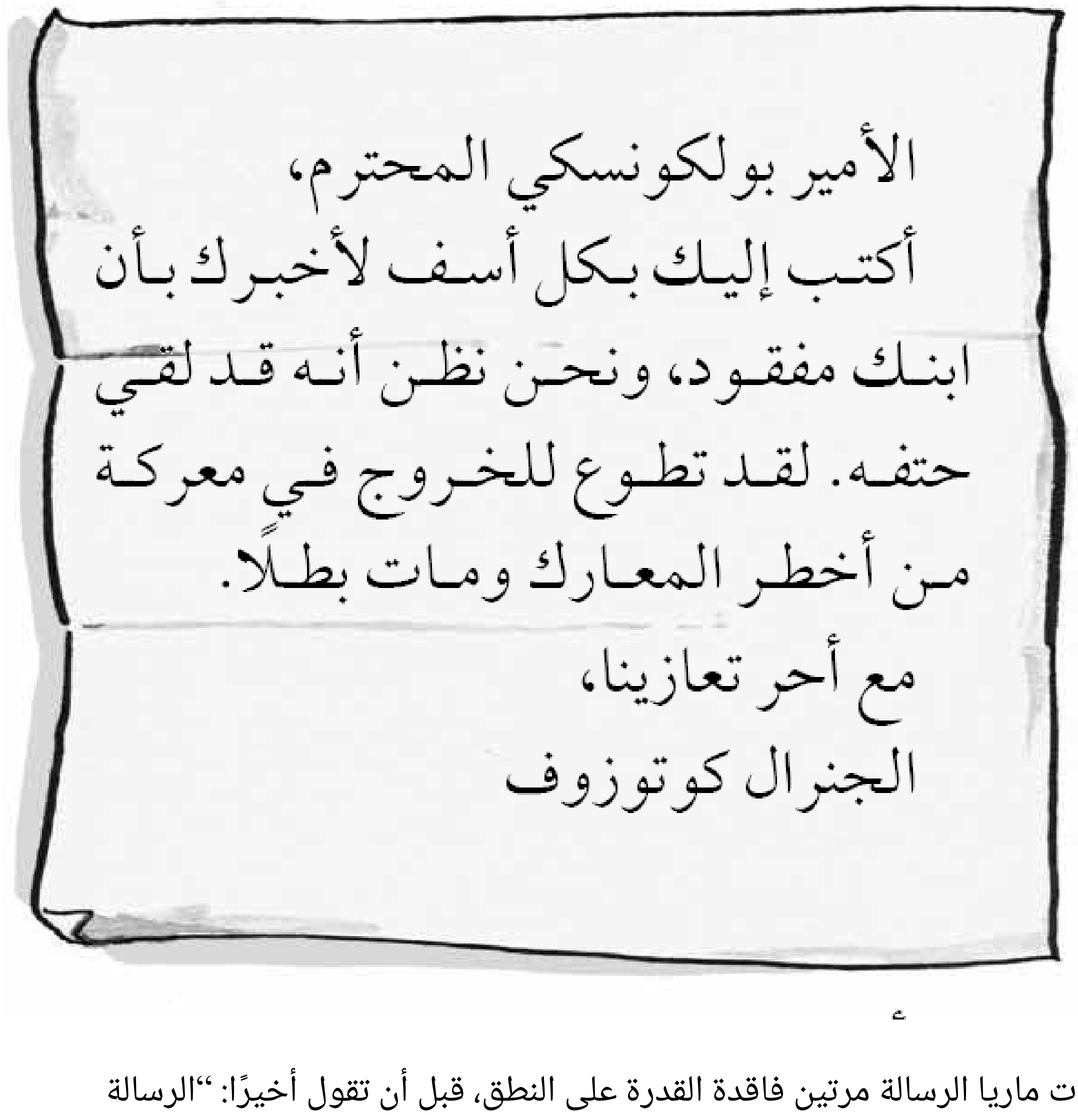


قرر بيير أن الوقت قد حان ليغادر المدينة ويخرج لزيارة الأراضي والمزارع الكثيرة التي ورثها عن أبيه، فلعله سيكون ذا نفع هناك. بيد مرتعشة، كتب بيير إلى هيلين رسالة يخبرها فيها بأن زواجهما لا يمكن أن يستمر أكثر من هذا، وبإمكانها أن تحصل على نصيب كبير من ثروته، فلم يكن المال يعني أي شيء بالنسبة إليه.

الفصل السابع

آن الأوان لكي يخرج طفل ليز إلى العالم. هرعت ماريا إلى مكتب والدها لتخبره بأن الطفل قادم، لتجده يتطلع من النافذة وقد علت وجهه نظرة يأس. سألته ماريا: "ما الخطب يا أبي؟".

أشار الأب إلى رسالة على مكتبه قائلًا: "اقرئي". التقطت ماريا الرسالة بيد مرتعدة، كانت الرسالة من قائد أندريه في الجيش.


الأمير بولكونسكي المحترم،
أكتب إليك بكل أسف لأخبرك بأن ابنك مفقود، ونحن نظن أنه قد لقي حتفه. لقد تطوع للخروج في معركة من أخطر المعارك ومات بطلًا.
مع أحر تعازينا،
الجنرال كوتوزوف

قرأت ماريا الرسالة مرتين فاقدة القدرة على النطق، قبل أن تقول أخيرًا: "الرسالة تقول إنه مفقود. ما زال هناك أمل أن يكون على قيد الحياة".

صاح الأمير بولكونسكي بقوة جعلت ماريا تفلت الرسالة من يدها من شدة فزعها: "إنه ميت! يجب أن نتقبل الأمر ونمضي قدمًا".

أرادت ماريا أن تصرخ وتبكي أخاها، لكن لم يكن بإمكانها أن تسمح للحزن بالسيطرة عليها، فيجب عليها أن تتحلى برباطة الجأش لأن هذا هو ما تحتاج إليه ليز الآن. يمكنها أن تكرم أخاها عن طريق مساعدة زوجته في إخراج طفله إلى العالم.

سرعان ما رأت ماريا عربة قادمة عبر الممر الطويل لبالد هيلز، فظنت أن هذا هو الطبيب، فأخذت تلوح بشكل محموم وهرعت لاستقباله، لكن العربة لم تكن تحمل الطبيب وحده، كان هناك شخص آخر يرافقه؛ إنه أندريه.

بعد أن سكبت ماريا دموع الفرح والصدمة معًا، فسر أندريه الأمر لها. لقد أصيب في معركة ضارية، فظل طريحًا في أرض المعركة لعدة ساعات قبل أن ينقذه بعض القرويين القريبين من المكان الذين اعتنوا به. استغرق الأمر من أندريه عدة أيام حتى وصل إلى بالد هيلز وهناك استطاع أن يكمل رحلته مع الطبيب في عربته.

قالت ماريا وهي تكفكف دموعها: "لقد أوشك طفلك على الخروج للعالم!".

لم يمض وقت طويل حتى سمعا صراخ المولود في أرجاء المنزل، لكن عندما خرج الطبيب من غرفة ليز، لم يبد سعيدًا. ثمة خطب جلل حدث. لقد كان المولود بخير، لكن الأم فقدت حياتها.

سمى أندريه المولود نيكولاس، على اسم والده، ولمَّا حمل المولود، شعر بالحزن الشديد على وفاة زوجته. لقد كانت شخصية رائعًة، ولم يتمكن هو من منحها الحب الذي تستحقه. قطع أندريه على نفسه عهدًا بأن يكون والدًا أفضل مما كان عليه زوجًا.

الفصل الثامن

استنشق بيير هواء الريف المنعش، فالآن بات يعرف ما سيفعله بالثروة التي آلت إليه، فأملاكه ومزارعه كانت في حاجة إلى اهتمامه. وضع بيير خططًا لتحسين وضع الأراضي والمزارع، وقطع على نفسه عهداً بأن يبني بيوتًا جديدة للعاملين بالمزرعة ومدارس لأطفالهم، وقد استمع إلى شكاوى العاملين وفكر في طرق لتحسين حياتهم، فما زال يشعر بالخزي مما فعله مع دولوكوف في موسكو، لكنه كان عازمًا على أن ينسى أمر زواجه الفاشل ويصبح رجلًا أفضل.



بعد مضي أسابيع، وفي موسكو تحديدًا، كانت ناتاشا وسونيا غاية في السعادة. كانت الفتاتان تستعدان لحضور أهم حدث في العام، حفل القيصر لرأس السنة.

قالت ناتاشا وهي تدور بفستانها الجديد: "لا أطيق الانتظار حتى أرقص!".

وقالت سونيا: "أما أنا فسأشاهدك وأنت ترقصين، فلن أرقص مع أحد ما دام نيكولاي لا يزال في الحرب".

أدارت ناتاشا عينيها في محجريهما، كانت تعلم أن ابنة عمها واقعة في حب شقيقها الأكبر، لكنها لم تظن أنه سبب وجيه يمنعها من الرقص، ولا سيما أن قاعة الحفلة ستكون مزدحمة بأهم العائلات في روسيا.

تلألأت قاعة الحفل تحت ضوء الشموع. كان الجو بالخارج باردًا، لكن داخل القاعة كانت المدافئ مشتعلة. جالت ناتاشا ببصرها في أنحاء الغرفة باحثة عن أي شخص تعرفه، وبمجرد أن رأت بيير، لوحت له بذراعها بسعادة. كان بيير يقف مع رجل طويل القامة وسيم لم تره من قبل، لكن مظهره أوحى لها بأنه حزين.

قال بيير: "عزيزتي ناتاشا، كم تسرني رؤيتك. كنت أنوي زيارة عائلتك منذ أن عدت إلى المدينة".

قالت ناتاشا: "لقد افتقدناك يا بيير. يجب أن تحضر إلى منزلنا على العشاء في أقرب فرصة لتخبرنا عن رحلتك".

نظرت ناتاشا إلى الرجل الذي يرافقه، فقال بيير مُعرفًا: "أقدم لكِ الأمير أندريه بولكونسكي، وهوصديق عزيز. أندريه، أقدم لك ناتاشا روستوف".

انحنى أندريه يحييها في اللحظة التي بدأ فيها الموسيقيون بالعزف، فسألها: "هل تودين الرقص؟".

ابتسمت ناتاشا وقالت: "كم يسعدني هذا".

في أثناء الرقص، لاحظت ناتاشا أن الحزن الذي كان يسكن عيني أندريه بدأ يتلاشى. لم يكن أندريه ينوي الرقص، لقد حضر الحفل فقط ليرى أصدقاءه وليمثل عائلته أمام القيصر، ومع ذلك، عندما رأى ناتاشا، لم يستطع منع نفسه عنها،

وقد بدا وجهها وكأنه يشع سعادة؛ تلك السعادة التي كان أندريه في أمس الحاجة إليها.



الفصل التاسع

بمرور الأسابيع، صار أندريه زائرًا منتظَرًا في منزل آل روستوف. أول مرة، زار منزلهم لتناول الشاي ومقابلة الكونت والكونتيسة روستوف، ثم طلب الإذن في أن يصحب ناتاشا في جولة بالعربة ذات الزلاجات. لم يشعر أندريه بمثل هذا القدر من السعادة من قبل، فقد جعلته ناتاشا يضحك وينسى متاعبه.

ذات يوم، بينما كانا يسيران فوق الجليد في الحديقة، قال أندريه: "ألا تمانعين في التنزه مع رجل مسن مثلي؟".

لكمته ناتاشا في ذراعه بمرح وقالت: "أنت أكبر مني ببضع سنوات فقط! وأنا لست سعيدة فقط، بل أكثر من ذلك بكثير".

قال أندريه: "أود أن أُعرفك على عائلتي".

قفز قلب ناتاشا في صدرها فرحًا، لكنها ردت بهدوء رغم رغبتها العارمة في ذلك: "سيسعدني هذا كثيرًا".

لم تكن ناتاشا هي الوحيدة الغارقة في الحب، فلقد كان شقيقها نيكولاي أيضًا غارقًا في الحب حتى النخاع، فقد تراسل نيكولاي وسونيا عندما كان في كتيبته في الحرب. لقد عَرَفها منذ نعومة أظافره، كما كان يعلم أنها غارقة في حبه حتى أذنيها منذ سنوات، والآن بدا أن الوقت قد حان ليطلب منها الزواج.



لم يمض وقت طويل، حتى أُعلنت خطبتان في منزل آل روستوف، واحدة من بينهما استقبلها الجميع بسعادة، بينما لم تكن هذه هي الحال نفسها مع الخطبة الثانية.

كانت سعادة الكونت والكونتيسة روستوف غامرة بخطبة أندريه وناتاشا، فقد كان أندريه عطوفًا وغنيًا: أي زوجًا مثاليًا، في حين أنهما لم يكونا راضيين عن خطبة نيكولاي وسونيا. إن ثروة آل روستوف الهائلة، باعتبار ما كانت عليه ذات يوم، تبدد معظمها بسبب سنوات من الحفلات الباذخة، وود الكونت والكونتيسة أن يتزوج ابنهما من فتاة ثرية، لكن سونيا ليست كذلك.

في اليوم الذي أعقب خطبة ناتاشا وأندريه، زار أندريه آل روستوف، لكن في هذه المرة كان يحمل أخبارًا سيئة.

قال وهو يجلس أمام ناتاشا في غرفة الجلوس: "لقد تحدثت مع والدي، ولقد أمرني بأن أنتظر عامًا قبل أن أتمم الزواج".

انفطر قلب ناتاشا، فلقد قضت الليل بطوله تخطط لزفافها الأسطوري وتمنت أن يحدث هذا في أقرب وقت.

قالت ناتاشا وهي تكبح دموعها: "لكن، لماذا؟".

رد أندريه بصوت يتخلل نبراته الحزن: "عندما تزوجت المرة السابقة، لم يكن قراري صحيحًا، وأبي يرغب في أن أكون متيقنًا من قراري هذه المرة".

أخبرت ناتاشا أندريه أنها تتفهم الأمر، على الرغم من عدم استيعابها له، فكانت تؤمن بأنه لاقوة على وجه الأرض يمكنها التفريق بين شخصين أحب كل منهما الآخر بصدق.



الفصل العاشر

طلب الأمير بولكونسكي من أندريه أن يسافر إلى سويسرا، فقد كان الأمير يرغب في أن يقضي أندريه وقتًا بعيدًا عن ناتاشا حتى يتأكد من قوة علاقتهما. حزنت ناتاشا كثيرًا، فلم يعد الأمر يقتصر على تأجيل زفافها فقط، بل إنها لن ترى خطيبها أيضًا لعدة شهور.

قالت ناتاشا بإحباط: "لا أفهم ما يدور برأس والد أندريه. لماذا يصر على التفريق بيننا؟".

قالت سونيا محاولة تهدئتها: "لاشك أن لديه أسبابه"، لكن سونيا كانت غارقة في المشكلات أيضًا. فبما أن نيكولاي كان بعيدًا عن المنزل مع كتيبته، كان عليها أن تواجه غضب الكونت والكونتيسة روستوف بشأن خطبتهما بمفردها.



ثم خطر على بال ناتاشا فكرة رائعة، فقالت: "سأذهب إلى بالد هيلز وأزور الأمير بولكونسكي وشقيقة أندريه، ماريا، وبمجرد أن يرياني، فأنا متأكدة

من أن والده سينسى تمامًا أمر انتظارنا عامًا قبل إتمام الزواج، وسنتزوج في غضون شهرا!".

لم تقتنع سونيا بخطة قريبتها، فلقد سمعت أن الأمير بولكونسكي رجل قاس وكثير الصياح، ودفع قلق سونيا على ناتاشا إلى أن تصر على مرافقتها في زيارتها إلى بالد هيلز.

في يوم الزيارة، همست ناتاشا وخادم آل بولكونسكي يقودهما إلى غرفة الجلوس: "ليس هناك ما يستدعي القلق". كان المنزل أكبر مما تخيلته ناتاشا، لكن بدا كأنهم لم يشعلوا أي مدفأة في المنزل لشهور طويلة.

بعد فترة من الانتظار، سمعت ناتاشا وسونيا صياحًا: "لا يهمني أن كنت تظنينني فظًّا يا ماريا. لن أقابل الفتاة!".

حدقت ناتاشا إلى سونيا بارتياع. فلا شك أن هذا هو صوت الأمير بولكونسكي.

دخلت شقيقة أندريه غرفة الجلوس، وقد بدت تشبه شقيقها، لكنها أقل حجمًا وملامحها أكثر نعومة. كان وجهها شديد الحمرة. قالت ماريا دون أن تتطلع إلى عيني ناتاشا: "معذرة لأنني تركتك تنتظرين. إن والدي...ليس على ما يرام اليوم. ربما من الأفضل أن ترحلي الآن".



كانت ناتاشا تعرف أن ماريا تكذب، فكل ما كانت تطمح إليه ناتاشا هو أن يرحب بها كابنة وشقيقة في عائلة بولكونسكي، لكن ما حدث هو أنهم تخلصوا منها كقطة ضالة.

الفصل الحادي عشر

قرر الكونت والكونتيسة روستوف أن يأخذا ناتاشا إلى الأوبرا، حتى يشغلا ذهنها عن التفكير في أندريه وزيارتها المؤسفة لمنزل آل بولكونسكي.

وعلى الرغم أن ناتاشا كانت تحب الأوبرا، لاقت صعوبة في التركيز في العرض. لقد شعرت بأنها مراقبة، فقد كان هناك شاب يجلس بين الجمهور يحدق إليها بالفعل. تخضب وجه ناتاشا خجلًا، وتعرفت على الرجل، الذي لم يكن سوى أناتول كوراجين. ابتسم أناتول في وجهها، لكنها أشاحت ببصرها سريعًا.

أثناء الاستراحة، ذهب الكونت والكونتيسة ليحضرا بعض المشروبات، ووجدت ناتاشا نفسها تجلس وحيدة في مقعدها. بسرعة، اقترب أناتول منها وقال: "أنت صديقة بيير، أليس كذلك؟".

ردت ناتاشا: "نعم. على ما أظن أنك شقيق هيلين، وأعتقد أنني رأيتك في زفافهما".

اكتسى وجه أناتول بالحزن وقال: "نعم، كم أشعر بالأسف لانفصالهما. لابد أن حبهما لم يكن حقيقيًا".

لم تستطع ناتاشا إلا أن توافقه الرأي، فردت: "أنت محق، لاشك أن ما بينهما لم يكن حبًا حقيقيًا".

قال أناتول وهو يمسك يد ناتاشا ويقبلها: "أظن أنني إن وجدتُ من أحبها بصدق، فلن أجعلها تغيب عن ناظري".



ابتسمت ناتاشا، وبدا لوهلة أنها نسيت كل متاعبها.

لم تتمكن ناتاشا من منع نفسها من التفكير في أناتول طوال الأسبوع. لقد بدا واثقًا بنفسه ورومانسيًا للغاية، وذات ليلة، تقابل الاثنان مرة أخرى في حفلة وظلا يتحدثان طوال الليل.

همس أناتول وهما يجلسان بالقرب من ساحة الرقص: "عزيزتي ناتاشا، كم يحطم قلبي أنك مخطوبة لرجل آخر".

ردت ناتاشا هامسة: "لا ينبغي أن تقول هذا، فهذا غير ملائم".

رد أناتول: "ما هو غير ملائم هو أن تُترَك امرأة مثلك بمفردها. لو كنت مكانه، لم أكن لأتركك مقابل نقود العالم كلها".

نسيت ناتاشا كل ألمها الذي تسبب فيه غياب أندريه لمدة عام دون أن تراه، كما بدأت تنسى أمر خطبتهما. لم يعد هناك من يشغل قلبها الآن سوى أناتول.

الفصل الثاني عشر

بعد مضي بضعة أيام، أرسلت ناتاشا مع الخادمة لتخبر عائلتها بأنها مريضة ولن تنزل من غرفتها لتناول العشاء معهم هذه الليلة، لكن عندما ذهبت سونيا لتطمئن علىها، وجدتها تجثو على ركبتيها بجوار فراشها. كانت ملابسها مبعثرة في كل شبر من الغرفة، وكانت هناك رسالتان مفتوحتان على تسريحتها.

التقطت سونيا الرسالتين. الأولى كانت من ماريا بولكونسكي، فقد اعتذرت ماريا فيها عن سلوك والدها وقالت إنها تتمنى أن تلقاها مرة أخرى حتى تتعرف كل منهما على الأخرى كما ينبغي.

أما الرسالة الثانية فكانت من أناتول، يطلب فيها من ناتاشا أن تفر من المنزل وتتزوجه.

قالت سونيا وقد أدركت أن ناتاشا ليست مريضة: "لا يمكنك أن تفعلي هذا"، فقد كانت ناتاشا تحزم أمتعتها لتهرب مع أناتول.

قالت ناتاشا: "وما المانع؟ لقد رحل أندريه، وعائلته لا تحبني، أما أناتول فهو يحبني!".



التقطت سونيا رسالة ماريا وقالت: "وماذا عن هذه الرسالة؟ شقيقة أندريه ترغب في رؤيتك مرة أخرى".

قالت ناتاشا وهي تلتقط وشاحًا وتحشره في حقيبتها: "لا يهم. إذا كان والدها لا يحبني، فهذا الزواج محكوم عليه بالفشل. ولعلي الآن بت لا أرغب في الزواج من أندريه. لقد أخبرني أناتول بأنه يحبني آلاف المرات. أريد أن أكون مع شخص مثله، شخص يحارب من أجلي!".

ظنت سونيا أن قريبتها لا تفكر بعقل متزن، فقد كانت تتصرف بغرابة شديدة. إذا هربت مع أناتول، فستتسبب في فضيحة ستمنعها من رؤية أصدقائها وعائلتها مرة أخرى.

انسحبت سونيا من غرفة ناتاشا بهدوء، بعد أن اختطفت مفتاح غرفتها من التسريحة. خرجت وأوصدت الباب خلفها، فباتت ناتاشا محتجزة في الغرفة.

عندما كشفت سونيا عن خطط ناتاشا للكونت والكونتيسة روستوف، هبط عليهما الخبر كالصاعقة. لم يصدقا أن ابنتهما قد تخطط للهرب، ورغم أنهما لم يزالا غير موافقين على خطبة سونيا من ابنهما، فقد أثبتت سونيا أنها فرد مخلص من أفراد العائلة بإنقاذها ناتاشا.



حرص الكونت روستوف على نقل أناتول لمكان بعيد، كما تلقى أناتول أوامر بألا يتحدث مع ناتاشا قط. أما ناتاشا، فلقد بقيت حبيسة بالمنزل لأسبوع، تبكي وترقد في الفراش، والشخص الوحيد الذي وافقت على مقابلته كان بيير.

قال بيير وهو ينظر إلى وجه ناتاشا الذي بللته الدموع: "صديقتي العزيزة، يؤلمني أن أراك حزينة هكذا، لكن أخشى أنني أحمل أخبارًا أكثر سوءًا".

أمسك بيير يد ناتاشا واستطرد: "عندما كنت متزوجاً من هيلين، أخبرتني بأن أناتول متزوج سرًا. إنه متزوج منذ فترة طويلة، ولا يمكنه الزواج بك، مهما وعدك بهذا".

تمزق قلب ناتاشا حزنًا، وقد باتت الآن تعرف أنها كانت ضحية لخدعة دنيئة.

قال بيير: "كما ينبغي أن أخبرك بأن أندريه كتب لي رسالة يقول فيها إنه عاد إلى الجيش...وإن خطبتكما قد انتهت".

أومأت ناتاشا دون أن تتحدث، فلا شك أن أندريه لن يرغب في الزواج منها بعد علاقتها مع أناتول. لقد تركت الأكاذيب ونفاد صبرها يفسدان فرصتها في السعادة، وتساءلت ما إذا كان بمقدورها أن تجد هذه السعادة مرة أخرى.

الفصل الثالث عشر

اشتدت ضراوة الحرب ضد نابليون والجيش الفرنسي أكثر من ذي قبل، وقد خشيت العائلات في موسكو على بيوتهم وأحبائهم، ثم بدأ الجنرالات الروس في إصدار أوامر للعائلات لكي تغادر موسكو، فالجيش الفرنسي بدأ يغزو البلاد.

حزم الأمير بولكونسكي وماريا، وابن أندريه أهم مقتنياتهم وهموا بمغادرة بالد هيلز متجهين إلى بطرسبرج.

لكن الأمر كان يفوق احتمال الأمير بولكونسكي. كان غاضبًا لأنه أجبر على ترك منزله، كما كان يفتقد أندريه، رغم أن كبرياءه منعته من الاعتراف بهذا. قبل أن يرسلوا في طلب العربات، مرض الأمير بولكونسكي بشدة، وحيث إن أغلب الأطباء قد غادروا موسكو لينضموا إلى الحرب، كانت ماريا تعتني بوالدها بمفردها. سمعت ماريا دوي الانفجارات ومن بُعد رأت ألسنة اللهب تندلع من المنازل المحترقة.

همس الأمير بولكونسكي وهو يرقد في فراشه: "أنا آسف يا ماريا، لم أكن أبًا جيدًا لك، لكنني أحبك".

أمسكت ماريا يد والدها بقوة، وقالت: "لا تجهد نفسك بالحديث يا أبي. أنا أيضًا أحبك، أحبك كثيرًا".



قـــال الأميـــــر بــولكـونســكي: "أخبري أندريه بأنني فخور به"، ثم أغمض عينيه ورأته ماريا وهو يموت أمام عينيها.

بعد وفاة الأمير بولكونسكي، بقيت ماريا بمفردها مع نيكولاس. كانت تعلم أنه من الخطر أن تسافر بمفردها بصحبة طفل صغير.

ظلت تدعو الله أن تأتيها أيَّة مساعدة، فكانت خائفة ووحيدة. لم يمض وقت طويل حتى سمعت ماريا طرقًا صاخبًا على الباب، وأتاها صوت من الجانب الآخر من الباب يقول: "الأميرة ماريا؟ اسمي نيكولاي روستوف. هل أنت بالداخل؟".



فتحت ماريا الباب قليلًا. كانت تعرف بالطبع اسم نيكولاي روستوف، فكانت تعلم أنه شقيق ناتاشا. صحيح أنهما لم يتقابلا من قبل، لكن بمجرد أن رأت نيكولاي، شعرت بأنه شخص موضع ثقة.

قال نيكولاي: "لقد أرسلني قائدي للمساعدة في إخلاء موسكو. لقد أشارت شقيقتي إلى منزلك ذات مرة، ورأيت النور مضاء وأنا أمر. هل يمكنني مساعدتك؟".

انهمرت من عيني ماريا دموع الارتياح، فلم تكن تصدق أن هناك من أتى لنجدتها. عثر نيكولاي على عربة وساعدها على وضع أمتعتها فيها، ثم ساعدها ماريا ونيكولاس الصغير على الخروج من موسكو إلى بطرسبرج.

الفصل الرابع عشر

شعر بيير بالإحباط، فكان أصدقاؤه يحاربون لإنقاذ روسيا، في حين كان يستعد هو للهرب إلى الطرف الآخر من البلاد حيث سيكون بأمان، لذا بدلًا من أن يحزم أمتعته حسب الأوامر، خرج إلى شوارع موسكو. لم يصدق بيير ما رأته عيناه، فكانت النيران تلتهم المنازل التي اعتاد زيارتها. وكان المئات من الجنود يسيرون في الشوارع، ورغم أنه رفض القتال في الحروب، فقد شعر بالخزي لأنه ترك هذه المسئولية تقع على عاتق أصدقائه.

رأى بيير جنديًا ظن أنه يعرفه، بل، إنه يعرفه بالفعل، إنه دولوكوف، الجندي ذاته الذي ضربه منذ عدة شهور مضت.



بمجرد أن رآه دولوكوف، قال: "الكونت بزوخوف، أهذا أنت؟".

قال بيير:" دولوكوف، هلا تسامحني عما بدر مني في حقك؟".

قال دولوكوف: "أنا مَن ينبغي أن يطلب منك السماح؛ لقد تصرفت معك بأسلوب غير مهذب، لكن كل هذا لا يهم الآن. يجب أن تغادر على الفور. ستنشب هنا معركة قريبًا".

فجأة، شعر بيير لأول مرة بأنه يعرف ما يتوجب عليه فعله، ووجد نفسه يصيح: "أود تقديم المساعدة! سآتي معك".

هز دولوكوف كتفيه قائلًا: "يمكنك أن تأتي إن شئت. لكن يجب عليَّ أن أحذرك، هذه المعركة ستكون ضارية".

سار بيير مع دولوكوف وكتيبته إلى ضواحي موسكو. كانت أرض المعركة تملؤها الخيام والخنادق، وقد تمدد الرجال أرضًا بين نائمين وآخرين يفحصهم الأطباء، وبدت هيئة بيير مختلفة تمامًا عن الجنود المجروحين المتسخين.

بمجرد أن اندلعت المعركة، حاول بيير مساعدة الجنود بكل ما في وسعه؛ فقد اعتنى بالجرحى وحمل الأسلحة، لكن لم تمض فترة طويلة حتى طرحه انفجار قوي أرضًا.

وفي بقعة أخرى من المعركة، كان أندريه يحارب ببسالة، لكنه عانى جرحًا خطيرًا، لذا حملوه إلى المستشفى الميداني وأرقدوه بجوار جندي آخر عرفه أندريه جيدًا، جندي حمل له بغضًا شديدًا ذات يوم، جندي يدعى أناتول كوراجين.

كانت إصابة أناتول بالغة، وفي هذه اللحظة، بدا عالم الحفلات الراقصة والأوبرا الذي كان الاثنان جزءًا منه بعيدًا للغاية. مد أندريه يده ليصافح أناتول، الذي مد بدوره يده ليصافحه.

قال أناتول وهو يسعل: "لقد ارتكبتُ جريمة بحقك".

رد أندريه: "ليس هذا الوقت المناسب للتفكير في هذه الأمور".

"هلَّا تسامحني؟".

كان أندريه يعي جيدًا أن الإنسان أحيانًا يتخذ قرارات سيئة، لذا قرر أن يطمئن أناتول قبل أن يلقى حتفه، فرد قائلًا: "نعم، أناتول. أنا أسامحك".



الفصل الخامس عشر

أدركت الكونتيسة روستوف أنه لم يتبق الكثير من ثروتهم، لذا حرصت وهي تحزم الأمتعة لمغادرة موسكو على أن تحمل العربات كل غالٍ ونفيس يمتلكونه.

بينما كانت عربات آل روستوف في طريقها للرحيل إلى موسكو، رأت ناتاشا مجموعة من الجنود خلفهم، فصاحت: "انتظر! يجب أن نساعدهم فبينهم جرحى!".

أومأ الكونت روستوف وقال: "أنت محقة. يمكن أن نستخدم عرباتنا لنقل الجنود العاجزين عن السير، ويمكننا أن نمتطي نحن أحصنتنا إلى خارج موسكو".

ارتعدت الكونتيسة روستوف وصرخت عندما رأت ناتاشا ووالدها يهمان بنقل الأغراض الثمينة منها: "لا، ليس هذه العربة! لم يتبق لدينا أي شيء!".



احمر وجه ناتاشا غضبًا وقالت: "الأشياء لا تهم يا أمي. ماذا إن كان نيكولاي واحدًا من هؤلاء الجنود؟ كنا حينئذ سنرجو أن يقدم إليه أحد يد المساعدة".

لم تستطع الكونتيسة سوى أن توافق، بعد أن تخيلت صورة ابنها في الحرب، حتى إنها ساعدت على نقل اللوحات والمجوهرات والأنتيكات من العربة لتفسح مجالًا

للجنود.

وقفت الكونتيسة روستوف تشاهدهم وهو ينقلون جنديًّا مصابًا إصابة بالغة إلى العربة. لقد عرفته فور رؤيته، فهذا الجندي لم يكن سوى أندريه بولكونسكي.
نظرت الكونتيسة إلى الطريق أمامها حيث كانت ناتاشا تنطلق على صهوة حصانها، فعلمت أنها لم تره.

قبل أن يقطع آل روستوف وكتيبة الجنود مسافة طويلة، اضطروا للتوقف؛ حيث صادفوا في طريقهم منازل مهجورة يمكنهم البقاء فيها ونقل أندريه إلى غرفة مريحة.

لم تتمكن الكونتيسة من إخفاء حقيقة أمر وجود أندريه معهم عن ناتاشا أكثر من هذا، وبمجرد أن سمعت ناتاشا الخبر صاحت: "يجب عليَّ أن أذهب لرؤيته! لقد فقدته مرة، ولن أتحمل أن أفقده مرة أخرى".

وهكذا، صارت ناتاشا تُمرِّض أندريه، فكانت تغير ضماداته وتحرص على وضع الكمادات على رأسه ليبقى باردًا، وقد أبت أن تبرح مكانها بجانبه.

وذات يوم همست له: "سامحني يا أندريه".



ضغط أندريه على يدها وقال: "أنت لا تحتاجين إلى طلب السماح مني، فلم يكن ينبغي لي أن أتركك وأرحل".

تنهدت ناتاشا بارتياح، وشعرت وكأن بعضًا من الألم الذي كان يثقل صدرها قد زال الآن قليلًا.

قال أندريه: "لقد رأيت أناتول كوراجين". اعتدلت ناتاشا في مقعدها عندما سمعته يذكر اسم أناتول.

استطرد أندريه: "كان مصابًا بشدة. لقد ظللت ممسكًا بيده حتى مات".

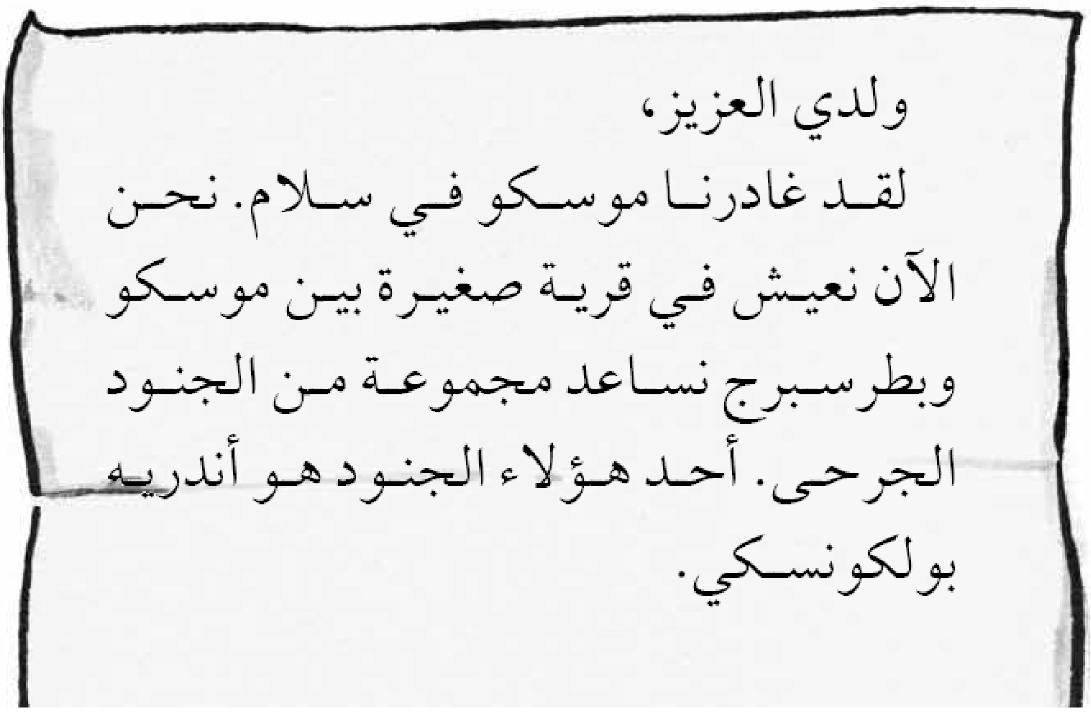
أجهشت ناتاشا بالبكاء، ثم قالت وسط دموعها الغزيرة: "أنا أحبك يا أندريه. أنت رجل عظيم. لن أتركك أبدًا".

الفصل السادس عشر

طوال الطريق إلى بطرسبرج، دارت أحاديث لطيفة بين نيكولاي روستوف وماريا بولكونسكي، وقد بدا وكأن كلًّا منهما يعرف الآخر منذ زمن بعيد. اكتشف نيكولاي كم كانت ماريا لطيفة وذكية، وكم كانت تولي كل اهتمامها لابن أخيها، كما استمتعت ماريا بالاستماع إلى قصص نيكولاي عن الحرب، وخططه عندما تنتهي.

عندما وصلا إلى بطرسبرج، قابل نيكولاي قائده، ووجد رسالتين في انتظاره.

الرسالة الأولى كانت من والدته.

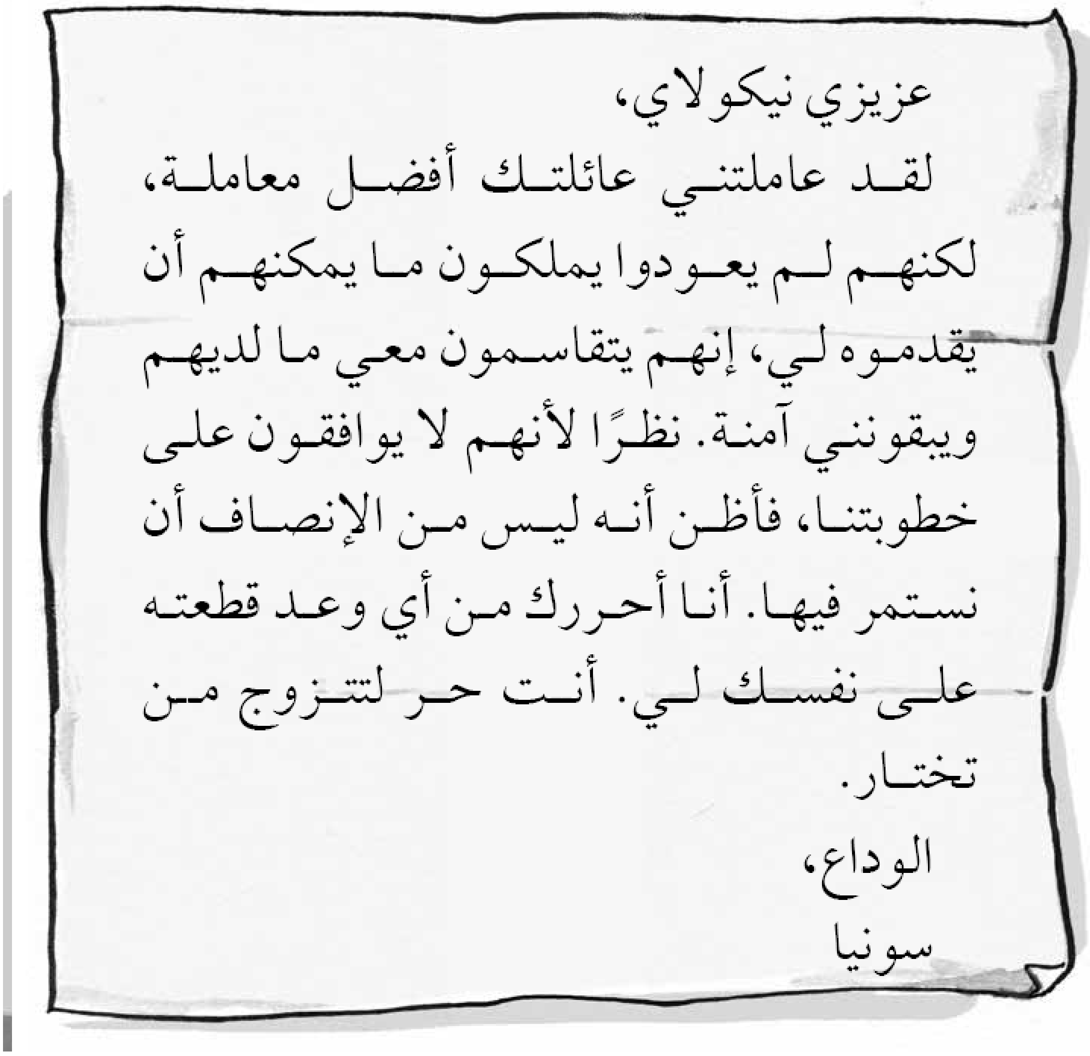


ولدي العزيز،

لقد غادرنا موسكو في سلام. نحن الآن نعيش في قرية صغيرة بين موسكو وبطرسبرج نساعد مجموعة من الجنود الجرحى. أحد هؤلاء الجنود هو أندريه بولكونسكي.

لم يقرأ نيكولاي الرسالة الثانية، بل هرع إلى شقة ماريا لينقل لها الأخبار. لم تصدق ماريا أذنيها، إذن فشقيقها في أمان. امتلأت عيناها بدموع الفرح وعانقت نيكولاي الذي تخضب وجهه خجلًا، وقد بات نيكولاي الآن يعرف أنه واقع في حب ماريا، وتمنى أن تكون هي أيضًا تبادله الشعور ذاته.

أما الرسالة الثانية فقد كانت من سونيا.



عزيزي نيكولاي،

لقد عاملتني عائلتك أفضل معاملة، لكنهم لم يعودوا يملكون ما يمكنهم أن يقدموه لي، إنهم يتقاسمون معي ما لديهم ويبقونني آمنة. نظرًا لأنهم لا يوافقون على خطوبتنا، فأظن أنه ليس من الإنصاف أن نستمر فيها. أنا أحررك من أي وعد قطعته على نفسك لي. أنت حر لتتزوج من تختار.

الوداع،

سونيا

تنهد نيكولاي في ارتياح. رغم أن سونيا كانت رائعة، ورغم أنه اهتم لأمرها كثيرًا، فلقد بات الآن يعرف معنى الحب الحقيقي. إنه هو ما يشعر به تجاه ماريا الآن.

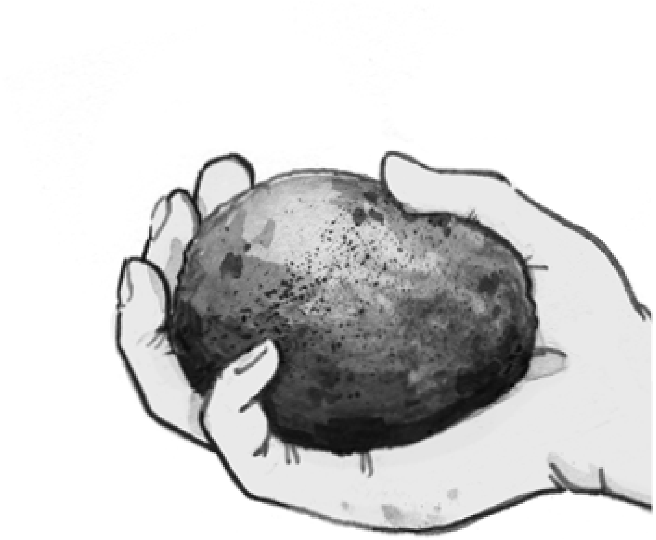
لم يكن نيكولاي يعرف أن سونيا كتبت هذه الرسالة وقلبها يتمزق.



الفصل السابع عشر

أُسر بيير بواسطة الجيش الفرنسي، وقضى ليالي يتنقل من بلدة إلى أخرى مع مجموعة من الجنود الروس الأسرى.

في ليلته الأولى بالأسر، جلس بجوار بيير عسكري روسي يدعى بلاتون. بعدما اطمأن بلاتون إلى أن الحراس الفرنسيين قد خلدوا إلى النوم، ناول بيير شيئًا صغيرًا في الظلام وقال: "تفضل يا سيدي، كل هذا. لقد احتفظتُ بها من الحصص التي منحونا إياها قبل المعركة". كان هذا الشيء عبارة عن حبة بطاطس مخبوزة باردة.



قال بيير: "لا تناديني سيدي. أنا لست أفضل منك".

قال بلاتون ضاحكًا: "كلانا يعرف أن هذا غير صحيح. من الواضح أنك لست جنديًا عاديًا".

تطلع بيير إلى حبة البطاطس كما لو أنها أشهى طعام وقع بين يديه ذات يوم؛ فلقد كانت معدته تئن جوعًا.

ومنذ هذه اللحظة، صار الرجلان صديقين.

بعد مضي عدة أيام، اقترب بيير من بلاتون والتصق به طلبًا للدفء في مزرعة مهجورة. إنهما ما زالا لا يعرفان ما سيفعله الفرنسيون بهما، كما أنهما لم يعرفا أي أخبار عن المعارك التي خاضاها وأي جانب حقق النصر. لم يتمكن بيير من منع نفسه من التفكير في شكل حياته.

كان يعرف أنه لم يكن ينبغي له الزواج من هيلين، لم يكن ينبغي له أن يترك جمالها الخلاب يأسر لبه. وجد نفسه يتساءل كيف كانت ستبدو حياته إذا تزوج زواجاً صحيحاً. كانت ناتاشا هي صديقته الحقيقية، ولطالما أحبها. آه لو كان فقط وجد في نفسه الشجاعة ليعبر لها عن مشاعره.

أفاق بيير من أحلام اليقظة على أصوات تأتي من الخارج. كانت أصوات طلقات نارية على ما يبدو، وفجأة انفتح الباب. ووسط ضوء النهار المتلألئ الذي غمر الغرفة المظلمة فجأة، وقف دولوكوف بصحبة جنديين روسيين آخرين. لم يكن لهذا سوى معنى واحد، أن بيير ورفيقه قد نجيا من الأسر!

صاح دولوكوف في دهشة: "بيير؟".

جذب بيير دولوكوف من كتفيه وقال بصوت خالطت نبراته السعادة: "لقد وقعتُ في الأسر منذ فترة مع هؤلاء الرفاق الشجعان. كم أنا ممتن لرؤيتك".



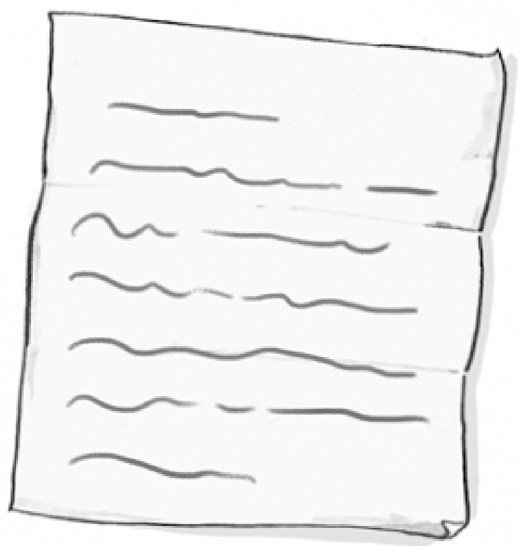
أخبره دولوكوف بأنه أُرسل هو وكتيبته لإنقاذ أي جندي أسره الفرنسيون، وأن الحرب قد انتهت أخيرًا. لقد يئس نابليون من الغزو.

الفصل الثامن عشر

الآن، بعد أن انتهت الحرب، تمكنت العائلات الكبيرة من العودة إلى موسكو، واستأنفوا ما تبقى من حياتهم، وقد تغير كل منهم.

فارق أندريه بولكونسكي الحياة في سلام، وكانت ناتاشا بجواره في لحظاته الأخيرة، وبهذا كانت الأميرة ماريا ونيكولاس الصغير هما من بقيا على قيد الحيـــاة من آل بولكونسكي، وقد ورثت ماريا ثروة أبيها وصارت ثرية، لكن وحيدة.

كتبت ماريا رسالة إلى ناتاشا تشكرها فيها لأنها اعتنت بأندريه، وأخبرتها بأنها ترغب في رؤيتها. عندما تقابلت الفتاتان، لم تتوقفا عن الحديث عن أندريه والحرب وعائلتهما. كانتا تتقابلان تقريبًا كل يوم وصارتا صديقتين مقربتين.



لم يعد آل روستوف قادرين على تحمل نفقات العيش في منزلهم الكبير، فقد ضاعت ثروتهم وممتلكاتهم، لذا انتقل الكونت والكونتيسة ونيكولاي وناتاشا وسونيا إلى شقة صغيرة في الطرف غير الراقي من المدينة.

أما بيير بزوخوف فكان هو أكثر من تغير بين الجميع، حيث فقد العديد من الأصدقاء المقربين، وعقد صداقات جديدة في أماكن لم يكن يتخيل أن يجد نفسه

فيها.

أخيرًا بات بيير يعرف أهم ما في الحياة؛ ليست الثروة أو الجمال، بل أن تكون شخصًا طيبًا وصادقًا ولطيفًا.

كانت ناتاشا تعلم بشأن مشاعر أخيها تجاه الأميرة ماريا؛ فقد كتب لها رسالة يخبرها فيها عن رحلتهما التي قطعاها معًا من موسكو.

ذات يوم قالت ناتاشا: "ماريا تتحدث عنك كثيرًا. لماذا لا تذهب إلى زيارتها؟".

تنهد نيكولاي: "عائلتنا باتت فقيرة الآن، وهي أصبحت من أغنى نساء موسكو. من المؤكد أنها لن تقبل بي".

قالت ناتاشا: "لقد طلبت أن نذهب جميعًا لنعيش في بالد هيلز. هناك العديد من الغرف الشاغرة وهي تعلم أن شقتنا صغيرة".

هز نيكولاي رأسه نفيًا وقال: "كيف يمكنني أن أراها أمامي كل يوم وأنا أعرف أنه من المستحيل أن أكون معها؟ لن يحدث ذلك".

لكن الكونت والكونتيسة روستوف شعرا بسعادة غامرة ولم يترددا في قبول عرض الأميرة ماريا، فلقد أرهقتهما الحياة في الشقة الضيقة غير المريحة. أصر الكونت والكونتيسة على أن يذهب نيكولاي إلى ماريا ليخبرها بأنه من دواعي سرورهم أن يلبوا دعوتها ويذهبوا للعيش في بالد هيلز.

دلف نيكولاي إلى غرفة الجلوس الفسيحة في بالد هيلز، وبمجرد أن وقعت عيناه على ماريا قال: "الأميرة ماريا، تسرني رؤيتك. معذرة لأنني لم آتِ لزيارتك من قبل".

سألته ماريا وهي تحاول إخفاء فرحتها برؤيته مرة أخرى: "ما الذي منعك؟".

قال نيكولاي: ”ظننت أنك قد لا ترغبين في رؤيتي؛ فعائلتي لم تعد من العائلات الكبيرة كما كانت الحال من قبل“.

تذكرت ماريا تلك اللحظة التي تقدم فيها أناتول لخطبتها في الحديقة، وقتها لم تشعر بأي مشاعر حب. لكن الآن وهي تنظر إلى نيكولاي، تعرف جيدًا أنها ستكون سعيدة إذا قضت باقي من عمرها معه، فلا يهمها إذا كان هذا الشخص الذي تحبه هو قيصر روسيا، أو منظف المدخنة، فهذه الأمور لن تشكل فارقًا بالنسبة لها.

قالت ماريا:”أنت مخطئ. كل هذا لا يهمني“، ثم أخذت نفسًا عميقًا واستطردت: ”أنا أحبك يا نيكولاي“.

شعر نيكولاي بارتياح يغمر كيانه، وسألها: ”أتحبينني حقًّا؟“.

أومأت ماريا وقالت: ”بالطبع، أحبك“.

سألها نيكولاي: ”إذن هل تقبلين الزواج بي؟“.

”أقبل“.



الفصل التاسع عشر

في الأسابيع التالية، أتى زائر آخر إلى الأميرة ماريا. قالت ماريا وهي ترحب ببيير في غرفة الجلوس: "كم تسرني رؤيتك".

رد بيير: "لقد أتيت لأهنئك على خطبتك، وأخبرك بأنني شعرت بحزن شديد على وفاة أندريه. لقد كان صديقًا رائعًا وأحببته من كل قلبي".

أومأت ماريا وابتسمت بحزن وهي تقول: "عزائي الوحيد أن ناتاشا كانت بجواره تعتني به حتى وفاته".

عندما ذكرت اسم ناتاشا، رفع بيير رأسه وسألها: "هل ناتاشا بخير؟".

بدت الحيرة على وجه ماريا، ثم ردت: "ألم ترها؟". هز بيير رأسه نفيًا. في الآونة الأخيرة، لم يسعه التفكير في أي شيء سوى ناتاشا، لكنه كان مترددًا بشأن زيارتها. كان يعرف أن هناك أمرًا ما يرغب في أن يطلبه منها بشدة.



قالت ماريا: "إنها تعيش هنا الآن. لقد دعوت آل روستوف ليعيشوا معي".

في هذه اللحظة، انفتح باب غرفة الجلوس، ودخلت ناتاشا، وبمجرد أن وقعت عيناها على بيير صاحت وهي تندفع نحوه: "بييرا". عانقت ناتاشا صديقها القديم وجذبته إلى المدفأة ليجلس بجوارها.

تطلعت ماريا إلى بيير وابتسمت قائلة: "سأذهب الآن لأتفقد نيكولاي. أنا واثقة بأن كلًّا منكما لديه الكثير ليخبر به الآخر".

قضى بيير وناتاشا النهاركله يتحدثان، وقد كانت ناتاشا أسعد من أي وقت مضى. تنهدت وقالت: "لا أعلم ما يحمله لي المستقبل. لقد اتخذت بعض القرارات السيئة

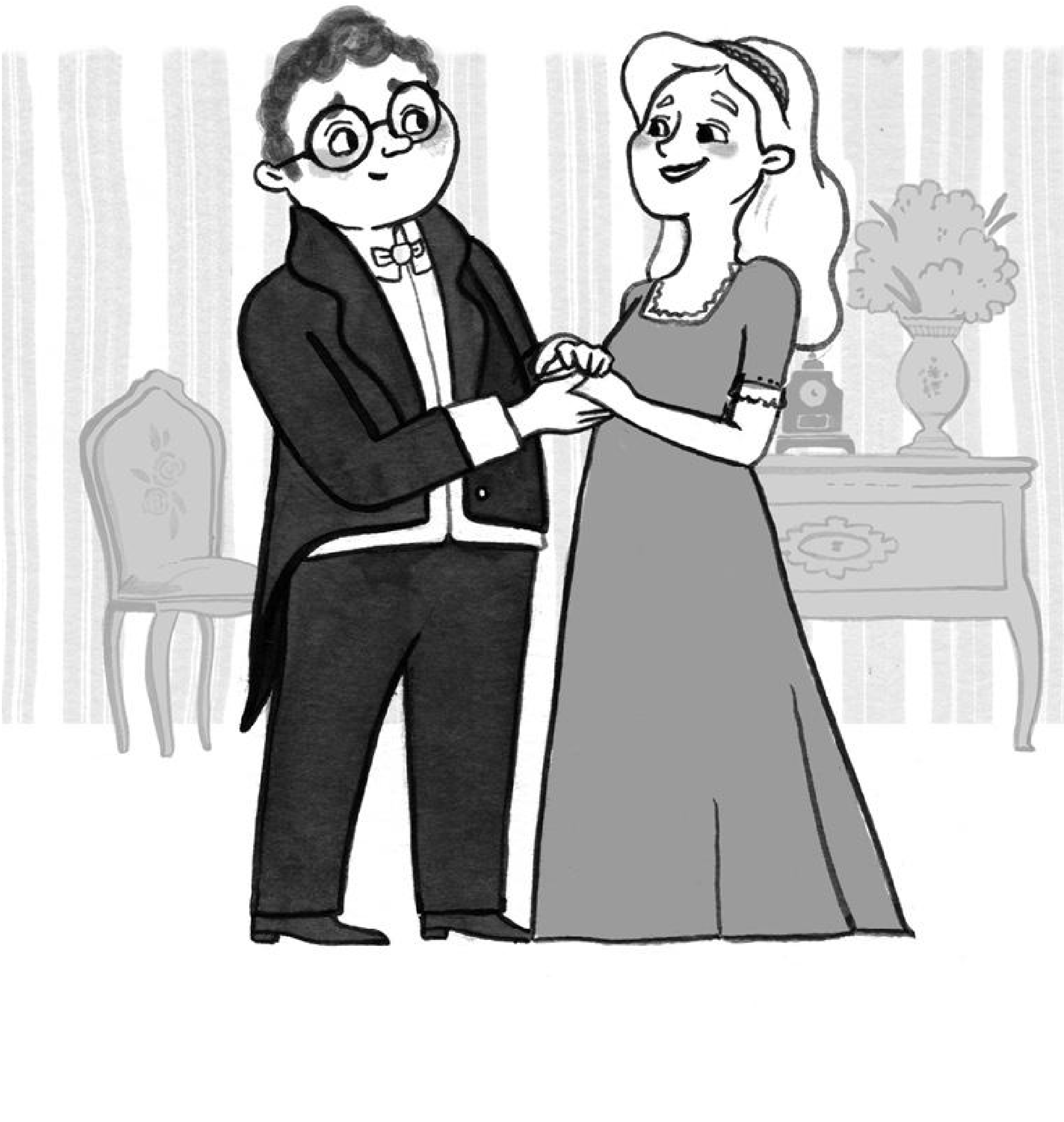
للغاية في حياتي".

أمسك بيير يدها وقال: "مثلي تمامًا. ربما حان الوقت لنتخذ قرارًا جيدًا معًا". ثم التقط نفسًا عميقًا وقال: "ناتاشا، لقد أحببتك منذ سنوات طوال".

رُسمت ابتسامة على وجه ناتاشا. كانت ترى أن بيير رجل طيب القلب وصادق وحنون، وليس هناك شخص في العالم أرادت أن تقضي معه وقتها أكثر منه. كانت تعرف أن ما تشعر به تجاهه هو حب حقيقي.

قال بيير وقد احمر وجهه بعض الشيء: "هل... هل توافقين على الزواج بي؟".

اغرورقت عينا ناتاشا بالدموع، ثم قالت ضاحكة: "نعم، أوافق!".



الخاتمة

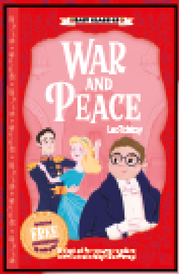
أقيمت الاحتفالات الكبيرة لزواج الشقيقين روستوف. صارت ناتاشا الآن الكونتيسة بزوخوف بعد زواجها من بيير، وقد عاش الزوجان في سعادة ورزقا بأربعة أطفال. أما سونيا فقد انتقلت لتعيش مع آل بزوخوف لتعاون ناتاشا في تربية أبنائها. لم تتزوج سونيا، لكنها أحبت أبناء ناتاشا كأنهم أبناؤها.

وتزوج نيكولاي من ماريا وأنقذا الكونت والكونتيسة روستوف من الفقر. وقد ربى نيكولاي وماريا ابن أندريه، نيكولاس، مع أبنائهما، وعندما صار نيكولاس شابًّا، نشأت علاقة صداقة قوية بينه وبين بيير، فلطالما ذكَّره نيكولاس بأندريه.

كانت العائلتان تتزاوران كثيرًا، وكان أطفالهما يلعبان معًا في حين يجلس الآباء لمشاهدتهم متسائلين عما يخبئه لهم المستقبل.



الغلاف الأمامي



لـم يكن **بييــر** واثقًــا من نفســه ووســيمًا مثل صديقــه **أندريــه**. كان مرتبــكًا وخجــولًا - وعندما مــات والــده وترك لــه **ثــروة** هائلة، أصبــح بيير فجأة شخصية تحظى بشعبية كبيرة.

عندما اشــتعلت نيران **الحرب** على مشــارف موســكو، ولفتت **ناتاشــا** الشــابة الســاحرة انتباه الصديقين، كان علــى بيير أن يقرر ما يريده ومن يكون.

تُرى هل يعثر بيير في النهاية على السعادة، وهل ستقرر ناتاشا من الذي يحبه قلبها بصدق؟



Arabic edition published by Jarir Bookstore

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت
www.jarir.com

Adapted by: Gemma Barder

ISBN 628-1072-14-457-9
6 281072 144579
282208897